

ملخص:-

تتناول هذه الدراسة حياة الأسرى الفلسطينيين داخل السجون الإسرائيلية، وكيفية تحول العلاقات بين الأسرى أنفسهم، وبين إدارة السجون، من خلال ما تبعه الأسرى من آليات عمل أفضت إلى وجود عمل مؤسسي منظم داخل السجون الإسرائيلية. وكيف كانت صياغة العلاقات داخل السجن من حيث تحويل السجن من مؤسسة قائمة لإنهائهم وشطبهم من المسرح التاريخي كفاعلين أساسيين، إلى مؤسسة تعيد إنتاج ذات وطنية مقاومة. وقد فحصت هذه الدراسة هذا التحول من عدة محاور أساسية ساعدت الأسرى الفلسطينيين في تحويل مؤسسة السجن من مؤسسة هدامة للنفس والجسد إلى مؤسسة تعيد إنتاج إنسان مقاوم بعد اعتماد الأسرى آليات ارتكزت عليها المحاور الآتية:

المحور الأول: تناول التحول التاريخي للسجون في المجتمعات الحداثية، من سجون تعتمد في وسائلها الضبطية على وسائل مشهية في العقاب، إلى وسائل تعتمد على منجزات علمية متطورة ومعتمدة على آخر ما توصلت إليه العلوم الإنسانية في التأثير على نفس السجين أو على روح جسد السجين (الذات).

أظهرت هذه الدراسة أن الأساليب القمعية والضبطية التي تستخدمها إسرائيل تجاه الأسرى الفلسطينيين هي أساليب تمزج بين ألما قبل حداثوي والأساليب الحداثية، أي أنها وسائل ضبطية قمعية مهجنة غير أصيلة تستهدف جسد الأسير وذاته. فالسجون الاستعمارية هي سجون محولة عن السجون الحداثية ولكن بصورة مختلفة، مما جعلنا نطلق عليها أيضا سجوناً هجينة.

المحور الثاني: يركز على التحول الذي شهده مجتمع الأسرى، من حالة علاقات قائمة على أساس فردي، إلى علاقات اجتماعية قائمة على أسس جماعية خلال الفترة الواقعة ما بين أعوام 1967، وحتى 1975. فهذا المحور يظهر لنا أيضا كيفية تكون الوعي داخل المجتمع الأسيري وإسهاماته (الوعي) في تحول العلاقات من علاقات فردية إلى علاقات جماعية وطنية، بعد أن استطاع الأسرى خلق ثقافة وطنية نقيضة لثقافة السجن وهيمنته. هذه الثقافة المضادة التي ابتدعها الأسرى أسهمت في تشكل مجتمع أسيري مأسس قائم على أسس تنظيمية وطنية مكنتهم من إعادة إنتاج أطرهم التنظيمية التي كانوا ملتزمين بها قبل سجنهم في داخل السجن. هذه الأطر عملت على استنهاض الوعي من جديد داخل الأسرى، فغيرت شكل العلاقات فيما بينهم من علاقات فردية قائمة على أسس قرابية إلى علاقات جماعية تنظيمية محورها الأساسي

الأطر التنظيمية. هذه الأطر شكلت فيما بعد الركيزة الأساسية في بناء مجتمع أسيري يعيد إنتاج ذات وطنية مقاومة من خلال بناء مؤسسة الأسرى داخل السجون الإسرائيلية.

المحور الثالث: هذا المحور يتناول التحول في العلاقات داخل المجتمع الأسيري، من علاقات جماعية مؤطرة داخل قوى مختلفة، إلى علاقات جماعية مأسسة، حولت المجتمع الأسيري كافة من مجتمع تحكمه ولاءات تنظيمية مختلفة، إلى مجتمع خاضع لشبكة من العلاقات المؤسسية، في الفترة التي امتدت ما بين أعوام 1975 ولغاية عام 1993.

إن هذا المحور يظهر أيضا التجارب الأولى التي شهدتها السجون الإسرائيلية لكيفية التعايش مع الآخر وتقبله، بعد أن ساهمت الثقافة الخاصة بالأطر التنظيمية في خلق فاصل بين الأطر أنفسها، أي أن هذه الأطر في بداية تشكلها كانت توظف عناصرها بطريقة فئوية تعزز من قوة الذات (الإطار نفسه)، وتتفي الآخر (الأطر الأخرى). كما أنه يظهر بشكل أساسي آلية تقسيم العمل التي اتخذها الأسرى وسيلة للحفاظ على العلاقات الجماعية الوطنية الموحدة، والتي تشبه إلى حد ما تقسيم العمل المتبعة داخل منظمة التحرير الفلسطينية، رغم أن شكل العلاقات وتقسيم العمل داخل مؤسسة الأسرى أخذ طابعا أكثر تقدما مما هو متبع في المؤسسة الأم (م. ت. ف)، خاصة بعد التحول الديمقراطي الذي شهدته الأطر التنظيمية في السجون والذي لم تشهده هذه الأطر في الخارج.

المحور الرابع: يركز هذا المحور على التحولات التي طرأت على مؤسسة الأسرى نتيجة التحولات السياسية التي حدثت في المنطقة العربية عامة والفلسطينية بشكل خاص، عقب انتهاء حرب الخليج الأولى والشروع بمؤتمر مدريد للسلام، وما نتج عنه من اتفاقات سلمية! بين القيادة السياسية للفلسطينيين وإسرائيل، خاصة ما عرفت باتفاقية أوسلو التي رتبت للحكم الذاتي الفلسطيني.

هذا المحور يظهر الآليات التي اتبعتها الأسرى الفلسطينيون في إعادة ترتيب أوضاعهم بعد أن شعروا أن أوامهم التحرر والانعقاد من الأسر قد ولت، نتيجة تسليم المفاوض الفلسطيني بتصنيفات السجن التي على أساسها حُرِمَ الأسرى من الإفراج والتحرر. كذلك فإن هذا المحور يظهر مدى التشابه والاختلاف بين مؤسسة الأسرى الرجال وبين مؤسسة الأسيرات الفلسطينيات داخل السجون الإسرائيلية.

المحور الخامس: نناقش فيه الأبعاد النظرية لهجانة السجون الإسرائيلية المعدة للأسرى الفلسطينيين، وهجانة المؤسسة التي أقامها الأسرى لهم داخل السجن، باستعراض أوجه الشبه والاختلاف مع المؤسسة الجامعة للفلسطينيين في الخارج (منظمة التحرير الفلسطينية)، من حيث التشكل والنظام المؤسسي. كذلك يتناول بوضوح مراحل تطور المؤسسة وتحولها طوال الفترة الممتدة من عام 1967 إلى عام 2005. ويظهر كيفية التشكل المؤسسي بعد توحيد النصوص داخل مجتمع الأسرى، وكيف أسهم هذا التوحد في جعل السجون المتناثرة والمشتتة في مواقع مختلفة كأنها سجن واحد، ويخضع لإدارة واحدة بفعل عمليات التخيل المؤسسي. وكيف ساعدت هذه العمليات في إعادة إنتاج ذات وطنية مقاومه داخل الأسر في السجون الإسرائيلية.

لقد تم استخدام منهج البحث الكيفي في هذه الدراسة، من خلال اعتماد الباحث على أداة المقابلة المعمقة مع المبحوثين، إلى جانب الاعتماد على تحليل بعض النصوص الأدبية التي كتبها الأسرى وتتناول ظروف حياة الأسرى داخل السجون.